

ثانياً: «يَس»:

ذكر الأخفش في «يَس» معنى واحداً ليس غير، وهو أنه بمعنى يا إنسان، ونَبّه على أنَّ المعنيَّ به هو النبي ﷺ.

يقول الأخفش: «ومن سورة يَس قال: (يَس) يقال: معناها يا إنسان كأنه يعني النبي ﷺ؛ فلذلك قال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة (٣٦) يَس، آية ٣)؛ لأنه يعني النبي ﷺ^(١).

(١) الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، ٦٦٦/٢.

ونجد التفسير نفسه عند الفخر الرازي إذ قال: «قبل في خصوص (يَس) إنه كلام هو نداء معناه يا إنسان... وعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب مع محمد ﷺ ويدل عليه قوله تعالى بعده: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾».

الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ٢٦/ص ٤٠. وأشار أبو عبد الله القرطبي إلى هذا المعنى ونسبه إلى سعيد بن جبير يقول القرطبي في أثناء حديثه عن معاني «يَس»: «وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ، ودليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة (٣٦) يَس، آية ٣) وذكر أنهم «قالوا في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْلِيسَ﴾ سورة (٣٧) الصافات، آية ١٣٠ أي على آل محمد» أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/ج ١٥ ص ٥. ونَبّه القرطبي على المعنى نفسه ولكن بصيغة أخرى؛ إذ قال وهو يتحدث عن معاني «يَس»: «وقال أبو =

وأشار الفراء إلى معنيين في «يَس» الأول أنه بمعنى
يا رجل، والثاني أنه بمنزلة حرف الهجاء وعزا الأول إلى
الحسن بإسناد، أما الثاني فذكر أنَّ هذا هو معناه في
العربية؛ يقول في معرض حديثه عن سورة «يَس»:

«قوله: «يَس» حدثنا أبو العباس قال: حدثنا محمد
قال: حدثنا الفراء قال: حدثني شيخ من أهل الكوفة عن
الحسن نفسه قال: يَس: يا رجل. وهو في العربية بمنزلة
حرف الهجاء؛ كقولك: حَمَ وأشباهها»^(١).

أما ابن جرير الطبري فذكر في «يَس» أربعة أقوال^(٢)
تبين اختلاف المفسرين فيه:

الأول: أنه اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به؛
يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ
الْحَكِيمِ ۝﴾ (سورة (٣٦) يَس، آية ١، ٢): «اختلف
أهل التأويل في تأويل قوله (يَس) فقال بعضهم: هو قسم
أقسم الله به، وهو من أسماء الله...»^(٣).

= بكر الوراق: معناه يا سيّد البشر» المرجع السابق، م/٨/ج١٥/
ص٥. وسيد البشر هو النبي محمد ﷺ.

(١) الفراء، معاني القرآن، ٣٧١/٢.

(٢) انظر ابن جرير الطبري تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل
آي القرآن)، م/١٢/ج٢٢/ص١٤٨.

(٣) المرجع السابق، م/١٢/ج٢٢/ص١٤٨.

فـ «يَسَّ» على هذا القول علم باعتباره اسماً من
أسماء الله أقسم به .

والثاني : أنه بمعنى يا رجل ؛ إذ قال ابن جرير الطبري :
«وقال آخرون : معناه : يا رجل»^(١) وفي «ذكر من قال ذلك»
أسند إلى ابن عباس أن «يَسَّ» معناها يا إنسان بالحبشية .
يقول : «... عن ابن عباس في قوله (يَسَّ) قال : يا إنسان
بالحبشية»^(٢) فـ «يَسَّ» هنا معناه يا إنسان ، أو يا رجل .

= وذكر أبو جعفر النحاس وهو يتحدث عن معاني «يَسَّ» هذا
المعنى أي أنه قسم وعزاه إلى عكرمة ولم يذكر أنه اسم من
أسماء الله كما فعل ابن جرير الطبري . انظر أبو جعفر النحاس ،
معاني القرآن الكريم ، تحقيق محمد علي الصابوني ، مكة
المكرمة ، جامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، ٥ / ٤٧٢ .

(١) ابن جرير الطبري ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي
القرآن) م ١٢ / ج ٢٢ / ص ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، م ١٢ / ج ٢٢ / ص ١٤٨ . وقال الزجاج في
معرض تفسيره لسورة «يَسَّ» : «جاء في التفسير (يَسَّ) معناه :
يا إنسان ، وجاء يا رجل ، وجاء يا محمد» أبو إسحاق
الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه ، ٤ / ٢٧٧ .

وممن أشار إلى هذا المعنى وهو أنه بمعنى (يا إنسان) أبو
جعفر النحاس ، وعزاه إلى الحسن بإسناد ، وإلى الضحاك .
انظر أبو جعفر النحاس ، معاني القرآن الكريم ، تحقيق محمد
علي الصابوني ، ٥ / ٤٧١ .

وهو على هذا المعنى معرفة؛ لأنه منادى نكرة مقصودة فتعرف بالنداء.

والثالث: أنه افتتاح كلام.

حيث يقول ابن جرير الطبري: «... وقال آخرون: هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه»^(١).

فـ «يَس» على هذا المعنى من الحروف المقطعة التي افتتح بها بعض السور للتنبيه على إعجاز القرآن بمنزلة «آلَمْ»؛ فخرجت من العلمية.

أما القول الرابع الذي أورده ابن جرير الطبري في (يَس) فهو أنه اسم من أسماء القرآن. يقول: «... وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن»^(٢).

(١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢/ج ٢٢/ص ١٤٨.

وانظر: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ٤٧١/٥، ٤٧٢.

قال النحاس: «... عن الحسين «يَس» قال: افتتاح القرآن... وقال مجاهد: من فواتح كلام الله جل وعز».

(٢) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢/ج ٢٢/ص ١٤٨.

ونسب أبو جعفر النحاس إلى قتادة أنه اسم للسورة، انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن لكريم، ٤٧٢/٥.

ومعنى ذلك أنَّ «يَس» على هذا القول علم؛ فعلميته كونه اسماً من أسماء القرآن.

وأُسند الزمخشري إلى ابن عباس أنه بمعنى يا إنسان في لغة طييء، ولم يجزم الزمخشري بصحته؛ يقول في معرض حديثه عن «يَس»:

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: يا إنسان في لغة طييء. والله أعلم بصحته»^(١).

ثم أوضح أنه إن صح فإن أصله يا أُتَيْسِينَ، فلما كثر النداء به على ألسنتهم حذفوا بعضاً منه تخفيفاً فصار «يَس»؛ يقول متمماً قوله السابق:

«وإن صحَّ فوجهه أن يكون أصله يا أُتَيْسِينَ. فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم مُ الله في أيْمُن الله»^(٢).

إذاً فـ «يَس» على هذا الوجه نداء، ولا يهمنا إن كان بلغة الحبشة، أو طييء أو كلب، أو كان باللغة السريانية؛ لأن العرب تكلمت به فصار من لغتهم^(٣).

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٧٩/٣.

(٢) المرجع السابق، ٢٧٩/٣.

(٣) أشار إلى هذه اللغات في «يَس» أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، انظر الجامع لأحكام القرآن، م٨/ج١٥/ص٥.

ويعلق أبو حيان على قول ابن عباس: «معناه يا إنسان بالحشية وعنه هو في لغة طيء» فيقول: «وذلك أنهم يقولون: إيسان بمعنى إنسان، ويجمعون على أياسين...»^(١).

ومما يضعف هذا القول أنَّ أبا حيان لم يدعّم كلامه بإثبات من كلام العرب من أنهم يقولون: إيسان بمعنى إنسان ويجمعونه على أياسين. وأشار أبو حيان إلى قول آخر في «يس» فقال:

«وقالت فرقة: يا حرف نداء، والسين مقامة مقام إنسان انتزع منه حرف فأقيم مقامه»^(٢).

ويعترض أبو حيان على قول الزمخشري «أن يكون أصله يا أُتَيْسِينَ» لأن أُتَيْسِينَ ليس قياس تصغير إنسان بل القياس في تصغيره «أُتَيْسِيَان»؛ يقول أبو حيان:

«والذي نُقل عن العرب في تصغيرهم إنسان «أُتَيْسِيَان» بياء بعدها ألف فدلَّ على أنَّ أصله «أُتَيْسَان»، لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها؛ ولا نعلمهم قالوا في تصغيره: «أُتَيْسِينَ» وعلى تقدير أنه بقية «أُتَيْسِينَ» فلا يجوز ذلك إلا أن يبنى على الضم ولا يبقى موقوفاً؛ لأنه منادى مقبل

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٣٢٣/٧.

(٢) المرجع السابق، ٣٢٣/٧.

عليه . ومع ذلك فلا يجوز؛ لأنه تحقير، ويمتنع ذلك في حق النبوة، وقوله (يعني الزمخشري): كما قالوا في القسم: مُ الله في أيْمُن الله هذا قول، ومن النحويين من يقول: إِنَّ «مُ» حرف قسم وليس مُبَقَّى من (أيْمُن)»^(١) انتهى كلامه .

وقول أبي حيان: «فلا يجوز لأنه تحقير» فيه نظر عندي؛ لأن التصغير إنما يمتنع من البشر . وأما من الله فلا اعتراض عليه؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى له أن يطلق على نفسه، وعلى خلقه ما أراد، ويحمل ذلك على أغراض تليق بالله، ورسوله، وسائر خلقه كالتعظيم، ونحوه من أغراض التصغير؛ ذلك أن خطاب الله سبحانه لرسوله إنما يجري على طريقة العرب في كلامهم .

ومهما يكن من أمر فالباحث يرجح أن «طه» و «يس» كليهما - من الحروف المقطعة التي تفتتح بها بعض سور القرآن الكريم، بمنزلة «آل» وغيرها من الحروف التي تحمل فيما تحمله الدلالة على إعجاز القرآن الكريم؛ يدل على ذلك أن كل سورة تبدأ بالحروف المقطعة يرد في أوائلها الذكر، أو الكتاب، أو القرآن وهذا أمر مطَّرد نلاحظه في «طه» و «يس» وغيرهما .

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٣٢٣/٧ .

وقد تتبعت سور القرآن الكريم المبدوءة بحروف التهجي فوجدت أنَّ بعض السور تفتتح بحرف واحد كسورة «ن»، «ق»، و «ص»، وبعضها بحرفين كسورة «حَم»، و «يَس»، و «طَس» و «طُه»، وبعضها بثلاثة أحرف كسورة «الْم»، و «وَطَسَم»، و «الرَّ» وبعضها بأربعة أحرف كسورتي «الْمَر»، و «الْمَص» وبعضها بخمسة أحرف كسورتي «حَم عَسَق»، و «كهيعص».

وفي ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمور لا تخلو من الحكمة، لكن علم الإنسان لا يصل إليها، والخوض في معاني هذه الحروف حرفاً حرفاً يخرج من حيز هذه الدراسة.

والذي جعل بعض الناس يسمُّون بـ «طُه» و «يَس» - كما يبدو - وهو وجود ضمير المخاطب بعدهما؛ قال تعالى: ﴿طُه ۝ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝﴾ (سورة طه، آية ١، ٢) وقال عز وجل: ﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ (سورة يس، آية ١، ٢، ٣) فكاف الخطاب في كلتا الآيتين قد يُوهم بأنه يرجع إلى «طُه» و «يَس» في صدر السورتين مما جعل بعض الناس يتوهم بأنَّ «طُه» و «يَس» اسمان علمان، وأنهما يرمزان للنبي محمد ﷺ، وأن الضمير يعود إليهما.

والصواب أنَّ الضمير في كلتا الآيتين لا يرجع إلى

«طه» و «يس»؛ لأننا لو اعتبرناه راجعاً إليهما لاعتبرناه راجعاً إلى نون في قوله تعالى: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِّكَ بِمَعْجُونٍ (٢) ﴿ (سورة ٦٨) القلم، آية ١، ٢) ولا اعتبرنا «ن» اسماً يمكن أن يسمّى به كـ «طه» و «يس». ولم يقل بذلك أحد، وما قلناه في «ن» هنا يمكن أن يشمل «المص» في قوله سبحانه: ﴿الْمَصَّ﴾ (١) كَتَبْتُ أُزِلْ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴿ (سورة ٧) الأعراف، آية ١، ٢) و «طسم» في قوله سبحانه: ﴿طسم﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْغَيْبِ (١) لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢) ﴿ (سورة ٢٦) الشعراء، آية ١، ٢، ٣)، وغير ذلك. إذ لو كان «طه» و «يس» علمين أصلاً لسمّى الناس بـ «ن»، و «طسم»؛ وغيرهما مما يؤكد أن «طه» و «يس» من الحروف المقطعة التي تفتح بها بعض السور. والذي يغلب على ظني أن «طه» و «يس» صاراً علمين على بعض الأعلام، إما جرياً على قول بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى أنهما علمان أو توهُماً بعودة ضمير الخطاب بعدهما إليهما. مع أن للضمير في القرآن الكريم سمات أسلوبية لا نجدها في غير القرآن، ومما هو جدير بالإشارة إليه أن التراث العربي في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام يخلو من «طه» و «يس» علمين.

obeikandi.com

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأخفش (الأوسط) أبو الحسن سعيد بن مسعدة:
- معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد،
بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الإسني، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن:
- طبقات الشافعي، تحقيق عبد الله الجبوري، الرياض، دار
العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله:
- دلائل النبوة، بيروت، عالم الكتب، (بلا تاريخ).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح
البخاري، بيروت، عالم الكتب، نشر إدارة الطباعة المنيرية،
ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل
أحمد بن علي:
- تهذيب التهذيب، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة
مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٧هـ.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيّد
جاد الحق، مصر، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني،
ط ٢، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.

- أبو حيّان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف:
البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٩٨٣ م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:
سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزبيق،
بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الزّجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري:
معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه، تحقيق عبد الجليل
عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨ هـ -
١٩٨٨ م.
- الزركلي، خير الدين:
الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٦، ١٩٨٤ م.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر:
الكشاف، الرياض، مكتبة المعارف، وبيروت، دار
المعرفة، (د.ت).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي:
تفسير أبي السعود المسمّى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا
القرآن الكريم»، بيروت، دار إحياء التراث العربي،
(د.ت).
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:
الكتاب، مصر، مطبعة (برلاق)، ط ١، ١٣١٧ هـ.

- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان:
شرح كتاب سيبويه (ميكرو فيلم) بقسم المخطوطات
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ١٠٢٩٦/
ف، مصوّر عن دار الكتب المصرية برقم (١٣٧) نحو.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد
(أبو) الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية،
(د.ت.).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد
(أبو) الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية
(عيسى البابي الحلبي وشركاه) ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:
تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)،
بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد:
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار
المسيرة، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين:
تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح
الغيب، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد:
معاني القرآن، بيروت، عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد:
الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلميّة،
ط ١، ١٩٨٨ م.
- الكتبي، محمد بن شاكراً:
فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار
صادر، (د.ت).
- ابن كثير، الحافظ أبو الفدا، إسماعيل بن عمر:
البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- كحالة، عمر رضا:
معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي،
ومكتبة المثنى، (د.ت).
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل:
إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مصر، عالم
الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة
المكرّمة، جامعة أمّ القرى، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.